السيرة النبوية

الوحى

إعداد

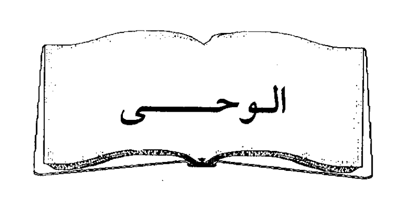
محمد عبده

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى

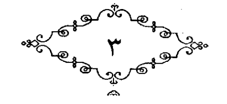
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت : ٢٢٥٧٨٨٢



قرأنا سويا فى القصة السابقة « خديجة بنت خويلد » أن رسول الله ﷺ قد أوحى إليه من ربه حين جاءه الملك جبريل عليه السلام وقرأ عليـه « سـورة العلـق » ، ثم تركه ، وعندما ذهب وأخبر خديجة ـ رضى الله عنها ـ أخذته ، وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذى بشره بأنه سيكون نبى هذه الأمة .

وبعد هذه البشارة أخذ رسول الله ﷺ ينتظر الوحى ، ولكن جبريل عليه السلام تأخر عليه فلم يعد إليه ، فاحتار رسول الله ﷺ فى الأمر ، وازداد شوقه إلى الوحى ، حتى جاء إليه الوحى مرة



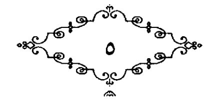
أخرى ، ليعلمه أن الوقت قد حان حتى يُخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويقودهم إلى عبادة المولى عز وجل، حتى يصلوا إلى النجاة ، والفوز فى الدارين الدنيا والآخرة .

عودة الوحى:

انقطع الوحى عن رسول الله ﷺ فترة كما قلنا ، ولكنه عاد مرة ثانية ، ولكن فى هذه المرة سمع رسول الله ﷺ صوتًا من السماء يناديه فرفع رأسه لينظر فوجد سيدنا جبريل عليه السلام جالسًا على كرسى بين السماء والأرض ، فخاف سيدنا محمد ﷺ خوفا شديدًا ، وارتعد ، وعاد إلى المنزل وهو يرتجف ، ويقول : دثرونى ... دثرونى ... أى غطونى ... غطونى.

فقامت إليه السيدة خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ وغطته ولكن الوحى جاء إليه مرة ثانية ليأمره بالتبليغ ، نعم فى المرة الأولى جاء إليه في غار حراء حتي يعلم أنه نبى ويستعد لذلك، ولكن فى هذه المرة جاءه حتى يأمره بأن يبلغ الناس ، وأوحى سيدنا جبريل إلى سيدنا محمد ﷺ فى هذه المرة سورة المدثر وهى ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)** ﴾ [سورة المدثر : ١ـ٧] .

وتعالوا معي لننظر فى تفسير هذه الآيات حتى يتبين لنا كيف أنها أمر للرسول ﷺ ، هذا الأمر هو أمر التبليغ .



* تفسير الآيات :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ أى : يا محمد لأن رسول الله ﷺ كما قلنا جاء للسيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ وهو يصيح قائلا: دثرونى . . . دثرونى . . فنزلت الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ أى : يا محمد « قم فأنذر » أى : شمر عن ساق العزم وأنذر الناس، وبهذا الأمر حصل بدء الدعوة إلى الله.

ومعنى ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ أيضا : أى حذر الناس من عذاب الله إن لم يرجعوا عن ضلالهم وعبادتهم للأوثان « الأصنام » ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾ أى : عظمه سبحانه وتعالى ، ولا تشرك به شيئا فهو الخالق . . القادر . . الرازق ، فعظمة هو وحده لا

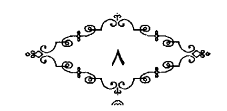
شريك له.

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾ أى : أنك عندما تقف بين يدى الله يجب أن تستعد بتطهير الثياب ، فلا ترتدى الثياب التى وقع عليها نجاسة ، وقذارة ، فإن هذا لا يليق أبدًا بأى مؤمن ، فإن المؤمن لا يقف بين يدى الله وهو متسخ الثياب ، أو يقف بين يدى الله وثيابه عليها نجاسة .

وقال بعض العلماء : يا أحبابى إن المقصود بـ ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾ أى : لا تلبسها على معصية فكن نقى القلب طاهرًا من المعصية ، وأنت ترتدى ثيابك التى سوف تقف بها أمام الله.

وقال بعض العلماء أيضا : المقصود هنا بطهارة الثوب : أن يكون هذا الثوب غير مسروقًا ، أو مأخوذ من وراء أحد ، أو مغتصب من أحد « فإن الله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيب » ومعنى هذا : أن الله يريد منا الصلاح والتقرب منه بالابتعاد عن الأشياء الكريهة التى تدنس الإنسان كالسرقة وما إلى ذلك من أفعال أهل الشر .

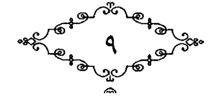
ثم قال ربنا عز وجل : ﴿ **وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** ﴿٥﴾ ﴾ أى : ابتعد عن كافة الشرور ، وعن عبادة الأوثان ، وعن أى شىء يغضب الله، واترك المعاصى ، واهجرها إلى الأبد.



﴿ **وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ** ⟨٦⟩ ﴾ أى : لا تعطى إنسانا شىء ، ثم بعد فترة تنتظر أن يعطيك هذا الإنسان شيئا أكثر مما أخذ منك فإن هذا تفكير خاطئ .

وقال أحد العلماء الأجلاء وهو الحسن البصرى : يا أحبابي إن المقصود بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ** ⟨٦⟩ ﴾ أى : لا تعمل الأعمال الصالحة وتستكثرها على الله.

لأن الإنسان منا إن صلى ، وصام ، وحج ، وقام بفعل كل ما هو جميل فإن ذلك ليس بكثير ، لأن الله أعطاه ما هو أكثر من ذلك . وإليكم أحبابى قصة جميلة دعونا نقرأها أولا ، ثم نعود

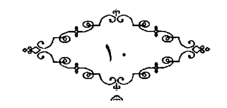


لتفسير باقى الآيات.

❋ العبد ونعمة العين:

يروى: أنه كان هناك عبدٌ صالحٌ يتقرب إلى الله دائمًا بصالح الأقوال: كالذكر، والدعاء؛ وصالح الأعمال: كالصلاة، والصوم، والحج؛ وكان حريصًا كل الحرص على البعد عن المعصية، والاقتراب الدائم من المولى عزَّ وجلَّ.

مات هذا العبد الصالح، وهو على طاعة المولى عزّ وجلَّ، ثم دفن، ثم قامت القيامة، وأخذ كل إنسان صحيفته، فاقترب هذا العبد، فقال له ربنا عز وجل: يا عبدى ادخل الجنة برحمتى.



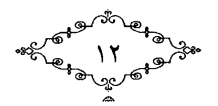
فقال العبد : لا يارب بل أدخل الجنة بعملى.

وأصر العبد علي أن عمله الذى قام به فى الدنيا كثير ، وهو كفيل بأن يدخله الجنة ، فأراه ربنا عز وجل قدر عمله وقال للملائكة : يا ملائكتى زنوا أعمال عبدى بنعمة واحدة قد أعطيتها له .

فوضع الملائكة أعمال العبد فى كفة ، ثم وضعوا نعمة العين فى الكفة الأخرى ، فرجحت كفه « نعمة العين » ، وهنا أدرك العبد خطأه وقال: يارب أدخل الجنة برحمتك . نعم فمهما عمل الإنسان من أعمال صالحة فهى قليلة : لأن نعم الله أكثر ؛ فلننظر سويا يا أحباب رسول الله ﷺ إلى نعمة العقل ، فنحن نفكر ،

ونبتكر ، ولسنا كالحيوانات . من أعطانا هذه النعمة ؟ إنه «الله »، ولننظر سويا إلى نعمة البصر من أعطانا العين حتى نرى ما يضرنا وما ينفعنا ؟ إن الذى أعطانا هذه النعمة هو الله » ، ونعمة القدم التى نمشي عليها ، ونلعب بها ، ونعمة اليد التى نكتب بها ، ونأكل بها ، ونشرب بها ، وكذلك نعمة السمع ، والإحساس ، والقلب ، والرزق الذى نرزقه كل يوم من أكل ، وشرب ؛ ونعمة النوم ، والراحة . كل هذه النعم من عند « الله » فمن منا بعد أن ينظر إلى هذه النعم يستطيع أن يعص الله ؟ .

أو أن يستكثر عمله الصالح هذا على ربه.



ولقد جاء فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال : لا يدخل أحدكم الجنة بعمله فقال الصحابة : ولا أنت يا رسول الله .

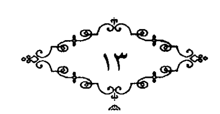
فقال رسول الله ﷺ : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله فى رحمته.

فاعملوا جميعًا يا أحبابى بكل جد وعزم على طاعة الله فإن نعمه علينا كثيرة لا تحصى ولا تعد.

وهيا بنا نعود إلى تفسير الآيات مرة أخرى.

*** الصبر :**

بعد أن علمنا أن تفسير قول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وَلَا تَمْنُن**

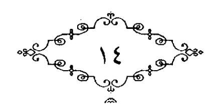


تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ أى : لا تستكثر عملك الصالح على ربك .

قال ربنا عز وجل : ﴿ **وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ** ﴿٧﴾﴾ .

أى يا محمد سوف يواجهك من الصعوبات الكثير فقومك يعبدون الأصنام ، ويفعلون المنكرات ، ولن يعجبهم أبدًا أن يتركوا كل هذه الأشياء ويتبعـونك ، حتي ولو كررت عليهم الدعوة مرات . . ومرات وأكثر ، سوف يلحقون بك الإيذاء والعذاب أنت ومن سيتبعك شأنك شأن الأنبياء والرسل من قبلك . لذلك يا محمد عليك بالصبر .

الصبر : هو الخلق الحميد لكل نبى جاء به من قبلك ، ولك

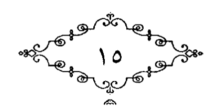


يا محمدُ . . . اصبر .

وبعد أن نزلت هذه الآيات الكريمة ، علم رسول الله ﷺ أن الدعوة إلى الله قد بدأت ، فقام وشمر وبدأ فى الدعوة إلى الله.

وكان أول فرض فُرِضَ على رسول الله ـ عليه وسلم الصلاة ـ والوضوء فقام رسول الله ﷺ ليدعو اولاً أهل بيته ، فأسلمت معه السيدة خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ ، التى كانت له عونا وسندا فى مسيرته .

ثم تحول عن السيدة خديجة ، وبدأ مع بقية أهل بيته ، ثم أقاربه ثم أصدقائه ، ثم بقية أهل مكة ، ولكن كل ذلك كان فى



السر ، فهو أمر بالتبليغ سِرًا ، ولم يؤمر بالتبليغ جهرًا بعد .

أما بالنسبة لأول من أسلم مع سيدنا محمد ﷺ فهذا ما سنعرفه إن شاء الله فى القصة القادمة «المسلمون الأوائل ».

